إضاءات نقدية (فصلية محكّمة)
السنة الرابعة – العدد الرابع عشر – صيف ١٣٩٣ش / حزيران ٢٠١٤م
صص ٥٠ ـ ٣٣

الأسطورة والرمز وتوظيفهما فى منظومة بانوگشسب‌نامه

محمود طاووسى*
خديجة بهرامى‌رهنما**

الملخص

تكشف الأساطير عن الحلقات الخفية للاوعى الجماعى عند البشر، وهى تحمل فى طياتها الكثير من المفاهيم الرمزية والمفعمة بالأسرار عند كل أمة. إنّ منظومة بانوگشسب‌نامه منظومة أسطورية يشاهد القارئ فيها ألواناً من التوظيف الأسطورى للنماذج العليامن المرأة البطلة والمقاتلة. ويشير تقرير اعتماد المرأة على ذاتها فى المنظومة إلى فترة ازدهار دور المرأة فى عصر الزراعة، العصر الذى يدعى عصر زعامة المرأة. تحاول المرأة فى هذه المنظومة البديعة أن تعبر عن قدراتها وماهيتها. وبناء على ما تقدم، تسعى هذه المقالة إلى إظهار شخصية بانوگشسب فى هذه المنظومة وتسليط الضوء على توظيفات أسطورية أخرى، مثل: التحول الجسدى الذى يعدّ من القضايا المهمة فى هذه المنظومة، كما تدرس موضوع رمزية الماء من خلال إطار نظرى يحاول تحليل التوظيفات الأسطورية المذكورة أعلاه.

الكلمات الدليلية: بانوگشسب‌نامه، الأسطورة، الرمز، المرأة المقاتلة، التحول الجسدى، الماء.

---

*. أستاذ بجامعة آزاد الإسلامية فى رودهن، إيران.
**. طالبة دكتوراه بجامعه آزاد الإسلامية فى رودهن، إيران. Bahramirahnama@yahoo.com
التنقيح والمراجعة اللغوية: د. عبدالحميد أحمدى
تاريخ الوصول: ١٣٩٢/١٠/٢٠ش تاريخ القبول:١٣٩٣/٦/١٨ش

المقدمة

تستخدم الأسطورة لغة رمزية مفعمة بالأسرار، حيث يمكن من خلالها التعرف على عالم الأسطورة الزاخرة بالرموز والأسرار للوصول إلى قضايا البشر ومثلهم التى تجلّت فى قالب الرموز؛ «إن الأسطورة عبارة عن الكلام والتصوير والحركة التى تقوم بحفر الحادثة فى الذاكرة قبل أن يتمّ تسجيلها فى قالب رواية أو حكاية.» (باستيد، ١٩٩١م: ١٠) إنّ هناك علاقة قوية بين الأسطورة وبين الثقافات البدائية للشعوب، وهى وسيلة ناجعة لدراسة الأفكار البدائية والأحداث التاريخية وقضايا البشر عبر العصور والأزمان. «إنّ الأسطورة عبارة عن قصة ترتبط بأرباب الأنواع أو الآلهة فى الغالب. وترتبط الأسطورة حسب هذا المفهوم بالثقافات البدائية أو الأدوار القديمة للثقافات المتطورة. لا تقوم الأسطورة بسرد أحداث الماضى ولكنّها وسيلة لإثبات صحة ما يعتقد فى الوقت الراهن بأنّه جرى فى الأزمان الغابرة.» (فراى، ١٩٩٥م: ١٠١-١٠٢)

فالأساطير قصص تقوم بشرح العناصر الطوطمية، والأعمال الشخصية للإنسان البدائى، والقيم السائدة عند شعب من الشعوب، وحاجة الناس. إنّ أهمّ توظيف للأسطورة يتجلّى فى «الكشف عن النماذج العليا فى جميع الطقوس والأنشطة الإنسانية ذات المعنى الخاص.» (الإلياذة، ١٩٨٣م: ١٧)

كما تسعى الأسطورة إلى إقامة علاقة بين أعمال الانسان وبين الأدب والفن، حتى تتمكن بذلك عبر النظرة العلمية من نقد الآثار الأدبية وتحليلها.

لقد فتح هذا الاتجاه نافذة جديدة فى النقد الأسطورى عند الباحثين، بحيث يتمّ من خلاله إظهار روح الشاعر إلى المخاطبين بشكل أوضح حتى يتمكنوا من فهم أدق للمفاهيم الأسطورية وإداركها.

إنّ الأسطورة عبارة عن رؤية الشعوب البدائية حول تفسير أسباب الأحداث، تلك الأسباب التى قد تبدو تافهة غير مبررة علمياً. «يمتزج العالمان العينى(الموضوعى) والذهنى فى الأسطورة، ويفقد الزمن الراهن موضوعيته ليتحول إلى زمن ذهنى، وتتحول الآلهة إلى بشر، ويظهر الإنسان قدرات غير عينية من تلك التى تنسبها الأسطورة إلى الأحداث الأخروية، وتحتل الأرواح الأخروية عالم التاريخ وساحة الزمن العينى.»

(زريــن كوب، ١٩٧٨م: ٤٥) «ومع تطور الأفكار البشــرية حلــت النظرة العلمية محل الأفــكار الأســطورية، وفقدت المعتقدات الخرافية قيمتها تدريجيــاً. ولقد خفت الصبغة الغيبيــة للأحداث والمثيرة للحيرة فی عملية التبدل التدريجی للأســطورة إلى الملحمة، وأخذت الأشياء والشــخوص أبعاداً اعتيادية إنسانية فی هذا العالم عند خلق الصورة الملحميــة الجديدة التی بنيت إلى حد كبير على أســاس المعايــير العقلية والتجريبية.» (ســركاراتی، ١٩٩٩م: ٧١) وفی الحقيقة «فإنّ حركة الفكر البشــرى من عصر معايشة الأســطورة نحو عهد إزالة الأســاطير هی أحد عوامل تحول الأســطورة إلى الملحمة.» (آيدنلو، ٢٠٠٦م: ٤) إنّ تصوّر موت الأســاطير أمر غاية فــی الصعوبة، ويمكن القول: «إن جميع هذه التطورات والتغيرات فی الأســاطير تدلّ على أنّ المعتقدات الأسطورية القديمــة مازالت حية بعــد مضیّ قرون من الزمن، وهی تواصل حياتها بقليل من التغيير والتطور.» (رياحی زمين وجباره ناصرو، ٢٠١١م: ١٤٦)

إنّ الطبيعة وأجزاءها زاخرة بالرموز؛ولقد اســتطاع الإنسان عبر النظر إلى الجبال والوديان والكهوف والنباتات والأشــجار والحيوانات والشمس والقمر وبعض الأرقام والأشــكال الهندسية أن يتصور لكل واحد منها رمزاً معيناً، تلك الرموز التی قد تتمتع ببنية دينية، وكانت موضع تقدير واحترام عند الشــعوب القديمة. «إنّ الرمز يعدّ معادلا موضوعيّايجسد شيئاً غائباً أو غير مرئی عبر الوسائل المستمدة من الطبيعة، وهو صورة تنقل المعنى الســرّی والرمزی.» (دلاشــو، ١٩٨٥م: ٩-١٠) إنّ للرمــز حدوداً معنوية واسعة فی الأدب يمكن من خلاله تحليل النصوص الأدبية تحليلاً أسطورياً.

إنّ منظومة بانوگشسب نامه أثر أسطوری نواجه فيها الرموز والتوظيفات المختلفة للأســطورة. «يعــود تاريخ هذا المنظومة إلى القرن الخامــس ه.ق، ولا يعرف ناظمها، وتتألف من شــرح أربعة أحداث مســتقلة لا تربطها علاقات واضحة. إنّ بانوگشسب هــی ابنة رســتم، وإحدى البطلات الشــهيرات فی الملحمة الإيرانيــة. وقد بلغت من البطولــة مكانة رفيعة، حيث إنّها كانت تحارب الأســود، وتشــطر الأبطال إلى نصفين بضربــة واحدة، وتجعل الأمراء والملوک أســرى طائعين لديها. لقد ثارت النقاشــات حــول هــذه الفتاة البطلة بين عظماء إيرن ورجال بــلاط كاووس الملک، وقد زوّجها

رستم بموافقة كاووس من گيو ابن گودرز الذى كان أشجع الإيرانيين قاطبة حتى تنتهى النزاعات والمشاكل. غير أن بانوگشسب البطلة قد تنازعت مع گيو بداية، ثمّ صرعته وكبّلته، حتى تدخل رستم، ووبّخها،وأصلح الأمور، وقد أنجبت بانوگشسب بيژن الذى وصفه فردوسى بالعظمة بكل ما تحمله الكلمة من معنى.» (صفا، ١٩٩٩م: ٣٠٣) تعدّ منظومة بانوگشسب نامه تجسيداً للمعتقدات والتقاليد والثقافة الوطنية للأمة الإيرانية؛ إنّنا نواجه فى هذه المنظومة شخصية امرأة مقاتلة تصارع الرجال وتصرعهم،وإنّ جذور أعمالها الفردية العظيمة تعود إلى النماذج العليا والأفكار القديمة، وهى جميعاً ضاربة بجذورها فى العصر الزراعى فى إيران القديمة، حيث تشير إلى سيطرة النساء وقدراتهن فى تلك العصور.ومن هذا المنطلق تحاول هذه العجالة دراسة شخصية بانوگشسب، وتوظيف الأساطير الأخرى من مثل: التحول الجسدى للشخصيات، ورمزية الماء.

فرضية البحث

إنّ للأسطورة وتوظيفاتها خطاباً مستقلاً ممنهجاً يمكن من خلاله دراسة منظومة بانوگشسب نامه دراسة أسطوريّة.

أسئلة البحث

- ما هى العناصر التى جعلت منظومة بانوگشسب نامه أثراً أسطورياً؟
- هل تأثرت أعمال بانوگشسب بالآلهة الإناث فى إيران القديمة؟
- هل تتمتع العناصر الأسطورية فى هذه المنظومة بالرمزية المطلوبة؟

سوابق البحث

ظهر النقد الأسطورى فى بداية القرن التاسع عشر على يد ماكس مولر (MAX Mooler)،ومن ثم واصل عالم الأساطير الشهير من رومانيا ميرتشا الياذة (MirceaEliade) دراسةالنصوص الأسطورية، ومن أشهر مؤلفاته يمكن الإشارة إلى الموسوعة الدينية، وآفاق الأساطير والأسطورة، والعودة الخالدة. وقد ألف جيمز فريزر (jamesFrayzer)،

أحد أبرز علماء الأساطير، كتابه المعروف الغصن الذهبى حول الأسطورة، كما أن نورتروب فراى (Fray Northrop) ألفّ كتابه المسمى تحليل النقد الذى يعد من المصادر المهمة فى مجال الأسطورة.وأما فى إيران فقد عالجت شخصيات عديدة قضية الأسطورة منهم:مهرداد بهار، وژاله آموزگار، وذبيح الله صفا، وبهمن سركاراتى، وهاشم رضى، ومنصور رستگار فسائى و ... . ولقد تمت دراسة الكثير من النصوص الملحمية ونقدها وتحليلها تحليلاً أسطورياً. وأما فيما يتعلق بمنظومة بانو گشسب نامه فيمكن الإشارة إلى الدراسات التالية: "بهلوان بانو"، و"مهين دخت بانو گشسب سوار" من تأليف سجاد آيدانلو، و"امتزاج الأسطورة والملحمة فى قراءة جديدة لبانوگشسب نامه" من زهراء رياحى زمين وعظيم جباره ناصر، و"بانوگشسب فى الملاحم الوطنية" لسعيد حسام پور وعظيم جباره ناصرو.

ولكون هذه المقالة لا تسعى إلى الحديث عن أبعاد هذه المنظومة المختلفة والخوض فى تفاصيل ذلک، فإنّ ما تستعرضه هو أعمال بانوگشسب التى تعد النموذج الأعلى للمرأة المقاتلة، كما تدرس موضوع التحول الجسدى والعناصر السامية من مثل الجن ورمزية الماء. ويبدو أنّهذه الدراسة هى الدراسة الأولى فى هذا المجال.

منهج البحث

سيتناول هذا المقال بالبحث والتحليل الأعمال الخاصة التى قامت بها بانوگشسب، وتوظيفات هذه المنظومة للأسطورة.

وبالنظر إلى أنّ الهدف العام من الدراسة هو النظر بشكل تفصيلى إلى بطلة القصة ودراسة بعض عناصرها الأسطورية كوحدة للتحليل، فإنّ منهج البحث وصفى"غير تجريبى"، ومن نوع دراسة الحالات (Case Study)، كما سيتم تفسير وتحليل الشواهد من المنظور الكلى (Holistic)، وبالتأكيد على العمليات. وتجدر الإشارة إلى أنّ النماذج الإحصائية للبحث مأخوذة من منظومة بانوگشسب نامه (٢٠٠٣م) من منشورات معهد العلوم الإنسانية والدراسات الثقافيةوبتحقيق وتصحيح من روح انگيز كراجى.

دراسة التوظيفات الأسطورية لمنظومة بانوگشسب‌نامه
دراسة النموذج الأعلى للمرأة المقاتلة
بانو گشسب والتأثر بالثقافة الأنثوية

إنّ منظومة بانوگشســب‌نامه تحظى بأهمية خاصة من بين المنظومات التى أنشــدت محاكاة للشاهنامة. إذ إنها المنظومة الوحيدة التى تتناول أعمال وبطولات امرأة شجاعة وقوية تضرب بطولاتها بجذورها فى النماذج العليا القديمة. ويمكن مقارنة بعض توظيفاتها مــع المرأة الإلهة فى القديموالتى كانت موضــع تقديس وعبادة، وكذلک مع المرأة القوّامة والمسيطرة على الأمور فى العهد الزراعى.

كانــت المرأة تعتبر فى العهود القديمة رمزاً للحياة والخصوبة والتربية، وذلک لقدرتها على الحمل؛ لذا فإنّ «الإنســان فى العصر الحجرى الجديد قام بتقديس المرأة، إذ كان يرى علاقة وثيقة بين خصوبة الأرض وخصوبة المرأة.» (هينلز، ٢٠٠٤م: ٤٦٤) لذا فإنّ الأرض والمرأة أصبحتا تسجيداً مثيراً للحيرة،وللخصوبة والولادة والتغذية. هكذا خيّل إليهم أنّ المرأة ذات قدرة أزلية، لذلک فقد أصبحت موضع العبادة «بلغت المرأة فى هذه المجتمعات مقاماً روحانياً، وكانت تعتبر وســيلة لنقل دماء القبيله فى أنقى أشــكاله.» (جيرشمن، ١٩٨٩م: ١١) ولقد أدّت قدرات المرأة فى المعتقدات الأسطورية إلى أن تتمتع المــرأة بمكانة رمزية، وأن تصبح ذات قــوة وتفوق خاصين، وأن تصبح موضع الاحترام والعبادة.

وقد ظهرت العلامات الدالة على قوة المرأة فى بعض الأحيان فى التماثيل النسائية المتبقية من العهود الســحيقة، وفى أحيان أخرى على شكل رمزى وذهنى مثل المفاهيم والإشــارات الواردة فى الأســاطير. «كما أنّ هذه الصور موجودة على شكل النموذج الأعلى القديم فى لاشــعورنا الجماعى.» (بولن، ١٩٩٤م: ٣٤) وقد نواجه فى القصص الأســطورية فتيات أو نســاء يعتبرن النموذج الأعلى القديم للمــرأة المقاتلة، بحيث إنّ الرجال عاجزون عن مواجهة هؤلاء النسوة، وقد يخضعون أمامهن بشكل كامل. وتذكرنا بطولاتهن وشــجاعتهن فى ساحات الوعى إلهة الفتيات وإلهة النسوان اللاتى ليس لهن مثيــل فى العصر الزراعى. «إنّ فكرة المرأة المقاتلــة فكرة غير إيرانية نضجت تدريجياً

عند الإيرانيين.» (حسـامپور وجباره ناصرو، ۲۰۱۰م: ۵۵) ومن بين النساء الإيرانيات و"انيرانيات" غير إيرانيات يمكن الإشـارة إلى الأسماء التالية: «گرد آفريد وگرديه فی الشـاهنامه، وابنة كورنگ وزوجة جمشيد فی گرشاسـب نامه، وهمای ابنة ملک مصر وابنة پوراسب وزربانو فی بهمن نامه، وفرانک ودلارام فی شهريار نامه، وسمن رخ ابنة كيـد الهندی فی فرامرز نامه، وگل كامكار ابنة ملک الشـام ومحبوب همای فی همای نامـه، وروز افزون ومردان دخت فی سمک عيار، وأنطوطية ابنة ملک المغرب وجيباوه وابنة كيداور الهندی فی داراب نامه للطرطوسـی، وجهان أفروز ابنة القيصر وگل بوی ابنة الملک مسـروق وعين الحياة ابنة الملک سـرور اليمنی فی داراب نامه،ولبی غمی وهمـای طايفی وخورشـيد خاوری فی حمزه نامه، وطوطی ابنة الشـداد وهی فتاة فی الرابعة عشـر من عمرها وخورشيد ابنة زال فيطومار نقالی هفت لشكر، وبمانی رخ فی قصة حسين الكرد الشبستری.» (آيدنلو، ۲۰۰۸م: ۱۲-۱۳)

إن بانوگشسـب ابنة إلهة تتمتع بالقدرة علـی أفعال وأعمال خارقة مثل تولی تربية فرامرز والمهارة فی الصيد والشـجاعة فی الحروب وهذه القدرات مسـتمدة من الآلهة الأنثی فی العهود القديمة. إنّ معارک بانوگشسب مستمدة من آناهيتا وأبعادها العسكرية «إنّ آناهيتا هی إلهة الحرب.» (بهار، ۲۰۰۷م: ٤٧٧) إنّها تجسيد إنسانی للمرأة الإلـهة فی العهود القديمة «ففی آبان يشت يسعی الفريقان المتقاتلان فی ساحة المعركة من قبيل: ارجاسـب، وگشتاسـب، وتوس، وپيران، وسيه، وافراسـياب إلى التمتع بمساعدة إلهة المياه آناهيتا.» (كوياجی، ۲۰۰۱م: ١٤٩) إنّ فكرة المرأة المقاتلة أخذت شكلها النهائی استناداً إلى مثل هذه الفكرة وهذا المعتقد.

أبعاد اعتراض بانوگشسب على النظام الأبوی(زعامة الرجل)

تمكنت النسـاء من فرض سـيادتهن لقرون عديدة فی العصر الزراعی، غير أنّ هذه العظمة النسائية لم تدم طويلاً، وبدأت بالأفول شيئاً فشيئاً، وظهرت بعد ذلک فترة الحياة الأبويـة. «فمع بداية عصر زعامـة الرجل خضعت المرأة أمـام الرجل وتم الاعتراف بالأسـرة ذات السـيادة الرجالية والتی كان يتولی الرجل الأكبر فيها رئاستها...؛ وقد

تحولت الآلهة التى كانت حتى ذلک التاريخ على شـكل النساء إلى شخصيات رجالية ذات لحى طويلة، والتى كانت تمثل رجال القبيلة وشـيوخها.» (دورانت، ١٩٩٨م: ٦٥) إنّ تفوق الرجال فى القضايا الاقتصادية والاجتماعة واطلاعهم على موضوع التناسل يعـد من العوامل الأساسـية لتفوق النظام الأبوى فى هذه العصـور. «ومع بداية عصر سـيادة الرجل اعتبر الرجال كمصاديـق للخير، واعتبرت النسـاء كمصاديق للضعف والعجز، وانتشـرت فكرة مواجهة المرأة فى العصور القديمة بظهور برهما وزنوس، وبعد ذلک مع ظهور يهوه كحاكم مطلق، وطردت المرأة من الساحة نهائياً، وتم التشكيک فى روحانيتها وقدسـيتها. لقد أبعدت الهالة الإلهيـة عنهن، وضعف الاعتقاد بالآلهة الإناث بين الناس، وزال تدريجياً من حياتهم. وبذلک تم قمع القيمة الاجتماعية والدينية للمرأة وجميع حقوقها الاجتماعية.» (بولن، ١٩٩٤م: ٣٣-٣٤) ومع بدء هذه الفترة فقدت المرأة قدسـيتها فى المجتمع، وحل محلها النظـام الأبوى الذى يريد المـرأة الخاضعة المطيعة بشـكل مطلق، ولا يقبل قدسية المرأة وعبادتها. إنّ بانوگشسب تحاول الاعتراض على النظـام الأبوى، وعلـى الرغم من محاولتها لإثبات ماهيتهـا الوجودية فى جميع أرجاء المنظومة إلّا أنها تخضع لهذا النظام مع قبول گيو زوجاً لها. إنّ الأسباب التالية تشير إلى اعتراضها على النظام الأبوى:

ارتداء الملابس القتالية الرجالية

إنّارتداء بانوگشسـب للزى القتالى يشـير إلى تمرّدها أمام العجز الجنوسـى، فهى تحاول أن تقول: ليسـت المرأة كائنة ضعيفة فى ذاتها، فهى قادرة على أن تسبق الرجال فى كل شىء إذا ما أرادت ذلک.

چو مردان به جوشن شدی در زمان　　سـر و مـوی در خود کـردی نهان

(بانوگشسب نامه،١٣٨٢: ص٥٦، ب١٧)

- لقـد كانت ترتدى الدروع فى كل وقت كالرجال وكانت تخفى شـعرها ورأسـها بلبس الخوذة.

چـو بانـو زره کـرد بـيرون ز تن　　فـرو مانـد بيچـاره شـاه خـتن

(بانوگشسب نامه،١٣٨٢: ص٩٣، ب٢٨٤)

– عندما خلعت بانو درعها فإنّ ملک الصین المسکین أصبح حائراً أمامها.

گرانمایه بانو زره پوش گشت به ظلمت نهان چشمهی نوش گشت

(بانوگشسب نامه،١٣٨٢:ص١١١، ب٧٦٥)

– لقد ارتدت السیدة العظیمة المبجلة الدرع، وکأنّ عیون الحیاة قد سیطر علیها الظلام.

قتل طلاب الزواج الإنیرانیین "غیر الإیرانیین"

تشتمل المنظومة فی جمیع أقسامها علی الحدیث عن الأعمال البطولیة لبانوگشسب، ولا نشهد أیّ حدیث عن الغرامیات والدقائق والکید والسحر النسائی، بحیث إنّ القارئ یخیل إلیه أنّ حب الرجل لم یدخل قلبها بتاتاً. فعندما کان عشاقها یلهثون أمامها، ویتحدثون عن حبهم لها لم تکن هی تظهر أی حب تجاههم، وکانت تعاملهم بعدم الاهتمام، وکانت تقطع أجسام الوقحین منهم بغضب شدید بسیفها البتار. ویمکن من بین من کانوا یخطبون ودها الإشارة إلی تمرتاش وثلاثة من ملوک الهند هم: جیپور،وجیپال، ورای گزین، حیث حاربتهم بانو وقتلت تمرتاش وجیپور، وأصابت جیپال بجرح، وحذّرت رای گزین.

لیس لبانوگشسب أیّ دور فی اختیار زوجها، وإنّ رستم هو الذی یختار لها زوجها؛ فهذه المرأة التی کانت تعتبر نفسها فی المنظومة کلّها نداً للرجال، بل أحیاناً أفضل منهم لیس بیدها أی قرار فی حق اختیار الزوج مما یدل علی فکرة السیطرة الجنوسیة وتفوق الرجال علی النساء فی هذه المنظومة.

ببردند مه را به خلوت سرای چو شد بسته کابین آن دلگشای

چو در خلوت خاص شد گیو گرد بیامد بر ماه با دستبرد

همی خواست مانند گستاخوار درآرد مر آن ماه را درکنار

زتندی برآشفت بانوی گرد نمود آن جهانجوی را دستبرد

بزد بر سر گوش او مشت سخت بدان سان که افتاد از روی تخت

دو دست و دو پایش به خمّ کمند ببست و به یک گوشهاش درفگند

(بانوگشسب‌نامه، لاتا:ص١٢٦، ب٩٩٠– ٩٩٣)

- عندما تم الزواج أخذوا ذلک القمر إلى البيت الخاص بها.
- فجاء گيو فى البيت وهو يريد التغلب على هذا القمر.
- وقد أراد بكل وقاحة أن يضمها إلى جانبه.
- لكنها غضبت وكبّلت يدى ذلک البطل.
- فلكمت وجهه وآذانه بكل قوة بحيث إنه سقط من فوق السرير.
- فقد كبلت يديه ورجليه ورمته فى ناحية.

الأسطورة والتحول الجسدى

«إنّ المراد بالتحول الجسدى هو ما يعبر عنه فى الثقافة الغربية بعبارتى (TransFormation و Metamorphoses)،ومعناه تغيير المظهر الخارجى أو الهيكل أو أساس كيان شخص أو شيء أو هويته القانونية باستخدام القوى الخارقة للطبيعة، وهذا أمر غير اعتيادى للجميع وفى كل الأعصر، ويعتبر أمراً خارج قدرات الإنسان العادية، سواء فى ذلک النوابغ والأشخاص من ذوى المواهب الخاصة.» (فسائى، ٢٠٠٩م: ٤٣) «إنّ التحول الجسدى هو أحد المضامين المهمة فى الأساطير، حيث يصور فى بعض الأحيان أسطورة أو بنية اجتماعية لشعب من الشعوب. إنّه تصوير يدل على اللاوعى الإنسانى وذهنه المتوقد خلال العصور المختلفة، حيث يعالج قضايا مثل خلق كائنات مكونة من امتزاج الإنسان والحيوان و ...، وذلک لعرض حاجات الإنسان الداخلية والتعبير عنها. إنّ التحول الجسدى فى الأساطير قد تسبب فى أعمال خارقه وهى مصحوبة عادة بالتغييرات والتطورات والقوى السحرية؛ فعلى سبيل المثال كان الإله بهرام فى بهرام يشت يتغير إلى عشرة أشكال منها: الريح السريعة، والثور الذهبى الجميل، والحصان الأبيض الجميل، والبعير الفحل، والخنزير الذكر ذو المخالب الحادة، والشاب ذو الخمسة عشر عاماً، والكبش البرى، والتيس، والرجل الوسيم العاقل.» (افستا، ١٩٩٦م، ج١: ٤٣١-٤٣٧) ونلاحظ فى قصة العقبات السبع لاسفنديار أنّ عجوزاً قبيحة المنظر قد تحولت إلى امرأة فاتنة الجمال وعرضت نفسها على اسفنديار:

زن جادو آواز اسفنديار چو بشنيد شد چون گل اندر بهار

چنـین گفت کامـد هژبـری به دام　　ابـا چامـه و رود پـر کـرده جام
پرآژنـگ رویـی بیآیـین و زشـت　　بـدان تیرگـی جادوییهـا نوشـت
بسـان یکـی تـرک شـد خوبروی　　چو دیبای چینی رخ از مشک موی

(فردوسی، ١٣٨٧،ج٤: ص١٧٨، ب٢٠٧- ٢١٠)

- إنّ المرأة السـاحرة عندما سمعت غناء اسـفنديار تحولت من نشوته إلى ما يشبه ورود الربيع.

- فقالت قد استطعت اصطياد بطل عظيم يتصف بصفات الجمال والقوة.

- انّها امرأة قبيحة المنظر كتبت الطلاسم والسحر فی ذلک الظلام.

- لقد تحولت إلى إمرأة فاتنة الجمال كالمرأة التركية فهی كانت تشبه الحرير الصينی تفوح من وجهها رائحة المسک.

وفـی الأسـاطير اليونانية أنّ «ديميتر (Dimiter) عندمـا أراد الهروب من بوزيدون (Posidun) تحـول إلى فرس واختفى بين خيول آكارى (Cardi A)، ولكن پوزيدون قد تحولـت إلى حصان وتزوجـت من الإله "ديميتر" وقد أنجبا فتـاة كان ذكر اسمها ممنوعاً وكانـت تدعى "خاتون"، وحصاناً كان يدعى آريـون (Arion).» (عزيمال، ١٩٧٧،ج١: ذيل المفردة Arion) ولقد أشـير فی"إنهإيد" إلى تحولات جسـدية مختلفة يمكن الإشارة من بينها إلى «تحول عشـر بجعات إلى المقاتلين، والإنسـان إلـى الحيوان، والغول إلى كاهنة عجوز، وتحول الحية إلى القلادة، والسـفينة إلى الجنية البحرية، والجنية البحرية إلى الإنسـان، وتحول الغول إلى طائر مشـؤوم.» (ويرحيل، ٢٠١١م: ٣٤) وقد تضمنت منظومة بانوگشسب نامه تحولين جسديين هما:

تحول الحمار الوحشی إلى الجنية

إنّ تحول الحمار الوحشـی الجسـدی إلـی الجنية يدل دلالة واضحـة على الخيال الواسع فی اللاوعی الإنسانی فی منظومة بانوگشسب نامه، حيث تسير أحداث القصة فی مسار تغيير المظهر الخارجی والأفعال المتغيرة لتعرض ماهية مختلفة عن هذا الكائن. «إنّ الجنيـة وجـود لطيف وجميل أصلها من النار، ولا يمكن مشـاهدتها بالعين، وتخدع

الإنســان بجمالها الخلاب. إنّ الجنية على العكس من الغول تمثل الخير فى الغالب وهى خلابة جداً.» (أشــرفزاده، ٢٠٠٧م: ذيل كلمة پرى) «إنّ الإشارات الواردة إلى الجنية فى الشــاهنامه والكتب الفارســية الأخرى والأســاطير والقصص العامة تدل على أنّ الجنية ليست كائناً مشؤوماً قبيح المنظر، كما كان يعتقد أتباع الزرادشتية ومزديسنا وإنما اعتبرت امرأة أثيرية رائعة الجمال كانت تتمتع بالحســن والهالة القدسية.» (سركاراتى، ١٩٩٩م: ٢)

«إنّ للجانّ حضوراً واسعاً فى الأساطير. ففى الأساطير اليونانية تعدّ دافنه (Dafne) جنيــة بحرية تتحول إلى شــجرة للخلاص من آبولــون (Apollon).» (روتون، ١٩٩٩م: ٢١) وتوجــد فى إنهايــد جنية بحرية تدعــى "جوتــورن" (Juturne) تطلب من الإلهة جونون (Junon) أن تساعدها فى قتال أخيها ضد "إنه" بطل القصة، «فتجلت فى مظهر متيســكوس (Matiscus) عامل حظيرة "إنه" وســاعدت أخاهــا تورنوس (Turnus).» (فيرجيل، ٢٠١١م: ٤٠٨)

كانت بانوگشســب عند الصيد تظهر شــجاعة نادرة تهرب منها الحيوانات كلها، بما فى ذلک الأسود والنمور، وقد واجهت أثناء الصيد حماراً وحشياً لجأ إليها وطلب منها المساعدة.

چو آن گور نزديک بانو رسيد　　تنش بود لــرزان دمى آرميد

(بانوگشسب‌نامه، ١٣٨٢: ص٥٧،ب٢٤)

– عندما وصل الحمار الوحشى إلى بانو كانت ترتعد فرائصه ولكنه هدأ.

وفى هذه الأثناء هاجم أسد الحمار الوحشى، وحاول افتراسه، فضربت بانوگشسب بعصاها على رأسه، وأهلكته.

برآشــفت بانــو يــل پرهنر　　بزد گــرز بر تارک شــير نر

(بانوگشسب‌نامه، ١٣٨٢: ص٥٧،ب٢٤)

– ثارت ثائرة بانو البطلة الكثيرة الفنون،فضربت ضربة على رأس الأسد الذكر.

وبعد أن أنقذت حياة الحمار الوحشــى تحول فجأة الحمار الوحشــى هذا إلى جنية أعلنت بأنّها ملک الجانّ.

بگفتش که ای ماه روی زمین　　منم پادشـــاه پـــری نام عین

(بانوگشسب‌نامه،١٣٨٢: ص٥٨،ب٣٦)

– فقالت لها أيها القمر المنير على الأرض ها أنا ملكة الجانّ، اسمی عين.

«إن اسطورة الجنية تمتزج دوماً بالحب، إنّ الفتنة وخلق الحب فی الجنية صفة ذاتية أصيلـــة.» (لاهيجـــی، ١٩٩٢م: ٢٩٣) لقد أحبّ فرامرز ملكة الجـــان بعد الاطلاع على حقيقتها.

فرامرز از آن صورت از دســـت شد　　ز جـــام می عاشـــقی مســـت شـــد

(بانوگشسب‌نامه،١٣٨٢:ص٥٨،ب٤٥)

– لقد فقد فرامرز عقله من رؤية ذلک الجمال وسكر من كأس الحب.

إنّ حب فرامرز لملكة الجان فی هذه المنظومة عبارة عن حب عابر، وتمت الإشـــارة إلى هذا الحب فی البيت المذكور سابقاً فحسب، ولم يرد كلام عن حالاته فی هذا الحب، حيث أغفلت ملكة الجان بعد ذلک، ولم يتم الحديث عنها فی هذه الملحمة.

بدان صورتش دل چو خشـــنود كرد　　پســـنـديدش آنـــگاه و پـــدرود كرد

(بانوگشسب‌نامه،١٣٨٢: ص٥٨،ب٤٨)

– فعندما رضی بجمالها وفرح، أعجب بها وودّعها بعد ذلک.

تحول الأسد إلى الجنی

لقد وردت الإشـــارة إلى جنی يدعى "سرخاب"، وهو يعادی الجنية. وتتحدث ملكة الجان فی حديثها مع بانو گشســـب وفرامرز عن سبب قتالها مع هذا الأسد على النحو التالی:

يكـــی دشمنـــم بـــود ســـرخاب نام　　كـــه بـــر جنيـــان شـــاه بـــودی تمام

بـــه كينم شـــب و روز در جنگ بود　　ازو ايـــن جهـــان بر دلم تنـــگ بود

كه تـــا بر مـــن امـــروز او چير بود　　كـــه من گور بـــودم و آن شـــير بود

(بانوگشسب‌نامه،١٣٨٢: ص٥٨، ب٣٨–٤٠)

– كان لی عدو يدعى سرخاب حيث كان ملک الجان.

– كان يعادينی حقداً منه ليلاً ونهاراً لذلک كنت أشعر بأنّ العالم يضيق علیّ.

– كان يغلبنى حتى اليوم إذ كنت حماراً وحشياً ولكنه كان أسداً.

«يعتقد العرب أنّ الجان تسكن القفار والصحارى، فهى كائنة شبيهة بالشيطان، وسبب للشر والخبث.» (ناس، ١٩٩١م: ٧١٠) و«بإمكان الجان أن تتشكل بأىّ شكل تريد شريطة ألا تختلف كثيراً عن النار والدخان.» (كلمبل، ٢٠١٠م: ٨٢) ومن الأعمال التى يقوم بها هذا الجنى القدرة على الاختفاء. فعندما لجأ الحمار الوحشى إلى بانوگشسب ضربت على رأس الأسد ضربة، وأنقذ حياة الحمار الوحشى ولكن جثة الأسد اختفت بعد أن قتلته بانو من الأرض. «إنّ حضور ملكة الجان ذات الاسم العربى "عين" والإشارة إلى الجانّ كل ذلک من العناصر الأسطورية والعناصر العامة التى دخلت فى خلق القصص البطولية بعد القرن الخامس ه.ق على الأرجح، كما نلاحظ على سبيل المثال فى سام نامه "القرن ٨ ه.ق".» (آيدنلو، ٢٠٠٥م: ٣٩)

الأسطورة والماء

يعتبر الماء أحد العناصر الأربعة فى الكون حيث يعيش العالم بواسطته «إنّ الماء هو أشهر تجسيد للحياة، إنّه رمز لجميع الأشياء التى يمكن أن توجد فى الحياة، فهو المصدر والمنبع والرحم لجميع إمكانيات الكون.» (الإلياذة، ١٩٩٧م: ١٨٩) إنّ الماء هو رمز الحياة والعالم، ويتمتع برمزية خاصة فى الأساطير. ففى أساطير ما بين النهرين «كان قد مضى على الدهر زمن لم تكن فيه الأرض ولا السماء فقد مزج ابسو (Apsu)، وهو إله مياه المحيطات، ماءه مع تيامات (Tiamat)، وهى إلهة الفوضى والاضطراب، وتولّد من ذلک العالم.» (زرين كوب، ٢٠٠٤م: ٤١١) لذلک فإنّ الماء فى أساطير ما بين النهرين كان فى وجوده سابقاً للأرض والسماء. كمان أن الأساطير المصرية ترى «أنّ العالم كان مليئاً فى البداية بالمحيط الأول الذى كان يدعى (نون) (Nun). لقد كان نون مسيطراً على كل مكان، وكان كالنواة السماوية الراكدة.» (ويو، ١٩٩٦م: ٣٥) وفى الأساطير الهندية أنّ «مياه الفيضانات العظيمة فى بداية الحركة الدورانية للخلق كانت قد أحاطت بالكون، ولكن نواة الحياة الذهبية التى كانت عائمة فوق المياه لمدة ألف عام تفجرت أثناء عملية الخلق وظهر العالم منها، وانقسم إلى قسمين: هما الذكر والأنثى.»

(ایونس، ١٩٩٤م: ٤٣) وجاء فی بندهشن «أنّ الحیاة بدأت من قطرة دمع، وإنّ ظهور کل شیء حیّ من الماء.» (دادگی، ١٩٩٠م: ١٣٩)

لا یشتمل الماء لوحده علی المعتقدات والأفکار الرمزیة، ولکنّ روح الإنسان هی التی تتصور هذه الرموزَ للحیاة «إنّ الماء عنصر مقدس فی ثقافة مزدیسنا وهو یحمل شحنة أهورانیة إیجابیة کان الإیرانیون القدامی یقدسون الینابیع والأنهار والثلج والمطر.» (بازرگان، ٢٠٠٩م: ٤٨-٤٩) ففی الشاهنامه نجد أنّ رستم فی العقبة الثالثة عندما ینتهی من قتل التنین یغسل جسده فی الماء

به آب اندر آمد سر و تن بشست جهان جز به زور جهانبان نجست

(فردوسی،١٣٨٧، ج٢: ص٩٧،ب٣٩١)

- لقد ورد الماء وغسل رأسه وجسمه،ولم یکن یبحث عن شیء فی العالم إلّا عبر قدرة الخالق.

إنّ الهدف من الاغتسال بالماء هو نیل سمو الروح «إنّ المعانی الرمزیة للماء یتلخص فی ثلاثة مضامین أساسیة، هی: عین الحیاة، وأداة للتزکیة، ومرکزاً للحیاة. وقد تجلت هذه المفاهیم والأبعاد الأسطوریة والطقوسیة للماء فی ثقافات الشعوب المختلفة بأشکال متنوعة.» (یاحقی، ٢٠٠٧م: ٣)

أشارت منظومة بانوگشسب نامة إلی رمزیة الماء. وبلغت بانو گشسب وفرامرز بعد معرکة القرابة مع رستم أرض توران ونصبا الخیام بالقرب من عین ماء.

شکار افکنان تا به توران زمین که از چرخشان دل نبودی غمین
گزیدند سرچشمهیی دلپذیر کشیدند آن خسروانی سریر
همان سبز خرگه برافراختند چو شیران به نخچیرگه تاختند
بکشتند بسیار آهو و گور بسی چشمه دیدند نزدیک و دور
ز هر گوشه اسپان برانگیختند به آهوی و گور اندر آویختند

(بانوگشسب‌نامه،١٣٨٢: ص٨٦- ٨٧،ب٤٠٠- ٤٠٤)

- وهم فی نشوةالاصطیاد حتی وصلوا إلی أرض توران، ومن کثرة تنقّلهم وترحالهم لم تکن قلوبهم مغمومة حزینة.

– فاختاروا لأنفسهم عين ماء مستطابة، وبسطوا هناک الأسرّة الفاخرة.

– فأقاموا الخيام الكبيرة الخضراء، وانقضوا نحو المصاد كالآساد.

– فقتلوا الكثير من الغزلان والحمر الوحشية، ورأوا هناک ينابيع ماءٍ كثيرةً، قريبةً وبعيدةً.

– فانهالت الخيول من كلّ صوب وجانب، فأحاطت بالغزلان والحمر الوحشية المتواجدة.

وعندما طلب ملوک الهند الزواج من بانوگشسب عسكروا بجيوش عظيمة على حدود ايران وتوران، وأقاموا خيامهم بالقرب من الماء.

سراپرده و خيمه نزديک آب طنابش بپيوست اندر طناب

(بانوگشسب‌نامه،١٣٨٢:ص١٠٩،ب٧٢٦)

– لقد أقاموا الخيام بالقرب من الماء بحبال مترابطة محكمة.

يسعى الناقد فى النقد الأسطورى أثناء دراسته للآثار الأدبية إلى إماطة اللثام عن الرموز فى النصوص الأدبية لإظهار الأرضيات التاريخية الحضارية، وتشكل الثقافات عبر تحليل تلک النصوص؛ لذلک فإنّنا نجد أنّ الماء هو أوسع المفاهيم انتشاراً فى ثقافات الشعوب. إنّ الماء من العناصر التى تساهم فى بناء الحضارات فى الأساطير، كما أنّ له بعداً تطهيرياً وأداء حيوياً فى الحياة. ونلاحظ فى منظومة بانوگشسب نامه أنّ الماء اكتسب أهمية بالغة، حيث أنّ الخيام تنصب جنب المياه.

النتيجة

تتمتع الأساطير بمفاهيم عميقة وتؤدى معرفتها إلى فهم لغة الشاعر والدخول إلى عالم مفعم بالأسرار والرموز. تعدّ منظومة بانوگشسب نامه من الآثار الأسطورية التى تحمل أفكاراً أساسية متعددة. بطلتها تُدْعَى بانوگشسب، وتعود إنجازاتها إلى فترة سيادة الأم (زعامة المرأة) فى التاريخ الإيرانى القديم, حيث كانت الآلهة الإناث تقدس، وكانت تتمتع بمكانة رفيعة إذ كانت تعتبر جزءاً من الأرض الأم. تحاول بانوگشسب فى هذه المنظومة فرض شخصيتها على الآخرين فى مواجهتها للنظام الأبوى الذى بدأ يسود,

حيث نلاحظ معالجة الظلم النابع من الجنوسة فی هذا الأثر، ولكنها فی النهاية ترضح لطلب رستم، وتقبل أن تكون زوجة لگيو الذی خرج مرفوع الرأس من الامتحان. ومن التوظيفات الأسطورية الأخرى فی هذا الأثر موضوع التحول الجسدی، وهو ضارب بجذوره فی الثقافة اليونانية القديمة، كما أنّ رمزية الماء، والذی هو رمز حياة الكائنات، من العناصر الأساسية فی هذه المنظومة.

المصادر والمراجع

آيدنلو، سجاد. (٢٠٠٥م). «مهين دخت، بانوگشسب سوار». كتاب ماه ادبيات و فلسفه. العدد ٩٣.

ـــــــــــــ . (٢٠٠٦م). «ارتباط اسطوره و حماسه». مجله مطالعات ايرانی. السنة ٥. العدد ١٠.

ـــــــــــــ .(٢٠٠٨م). «پهلوان بانو». مجله دانشكده ادبيات و علوم انسانی دانشگاه شهيد باهنر كرمان. السنة ٧. العدد ١٣.

اشرف زاده، رضا. (٢٠٠٧). فرهنگ بازيافته‌های ادبی از متون پيشين. مشهد: سخن گستر و معاونت پژوهشی دانشگاه آزاد اسلامی واحد مشهد.

الياذة، ميرچا. (١٩٨٣م). چشم اندازهای اسطوره. ترجمه جلال ستاری. تهران: توس.

ـــــــــــــ . (١٩٩٧م). رساله در تاريخ اديان. ترجمه جلال ستاری. تهران: سروش.

اوستا. (١٩٩٦م). ترجمه جليل دوستخواه. تهران: مروارید.

ايونس، ورونيكا. (١٩٩٤م). اساطير هند. ترجمه باجلان فرّخی. تهران: أساطير.

بازرگان، محمد نويد. (٢٠٠٩م). «آب و افراسياب». پژوهش نامه فرهنگ و ادب. السنة ٥. العدد٨.

باستيد، روجيه. (١٩٩١م). دانش اساطير. ترجمه جلال ستاری. تهران: توس.

بانوگشسب نامه. (٢٠٠٣م). تصحيح روح انگيز كراچی. تهران: پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی.

بولن، شينودا. (١٩٩٤م). نمادهای اسطوره‌ای و روانشناسی زنان. ترجمه آذر يوسفی. تهران: روشنگران.

بهار، مهرداد. (٢٠٠٧م). پژوهشی در اساطير ايران. تهران: آگاه.

حسام پور، سعيد. (٢٠١٠م). «بانوگشسب در حماسه‌های ملّی». مجله مطالعات ايران. السنة ٩. العدد ١٨.

دادگی، فرنبغ. (١٩٩٠م). بندهشن. ترجمه مهرداد بهار. تهران: توس.

دلاشو، م. لوفلر. (١٩٨٥م). زبان رمزی افسانه ها. ترجمه جلال ستاری. تهران: توس.

دورانت، ویل. (١٩٩٨م). تاریخ تمدّن، مشرق زمین گاهواره تمدّن. تهران: اقبال.

رستگار فسایی، منصور. (٢٠٠٩م). پیکر گردانی در اساطیر. تهران: پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی.

روتون، ک.ک. (١٩٩٩م). اسطوره. ترجمه ابوالقاسم اسماعیل پور. تهران: مرکز.

ریاحی زمین، زهرا و جباره ناصرو، عظیم. (٢٠١١م). «آمیزش اسطوره و حماسه در روایتی دیگر از بانوگشسب نامه». ادب پژوهی.العدد ١٨.

زرّین کوب، عبدالحسین. (١٩٧٨م). در قلمرو وجدان. تهران: سروش.

ـــــــــــــــــــ . (١٩٨٣م). یادداشت‌ها و اندیشه‌ها. تهران: جاویدان.

سرکاراتی، بهمن. (١٩٩٩م). مجموعه مقاله‌های سایه‌های شکار شده. تهران: قطره.

صفا، ذبیح الله. (٢٠٠٨م). حماسه سرایی در ایران. تهران: فردوس.

فرای، نورتروپ. (١٩٩٥م). ادبیات و اسطوره. از مجموعه مقاله‌های اسطوره و رمز. ترجمه جلال ستاری. تهران: سروش.

فردوسی، ابوالقاسم. (٢٠٠٨م). شاهنامه. به کوشش سعید حمیدیان. تهران: قطره.

کامبل، جوزف. (٢٠١٠م). قهرمان هزار چهره. ترجمه شادی خسرو پناه. مشهد: گل آفتاب.

کویاجی، جهانگیر کوروجی. (٢٠٠١م). بنیادهای اسطوره و حماسه ایران. گزارش و ویرایش جلیل دوستخواه. تهران: آگه.

گیرشمن، رومن. (١٩٨٩م). ایران از آغاز تا اسلام. ترجمه محمد معین. تهران: علمی و فرهنگی.

لاهیجی، شهلا و کار، مهرانگیز. (١٩٩٢م). شناخت هویّت زن ایرانی در گستره پیش تاریخ و تاریخ. تهران: روشنگران.

فیرجیل. (٢٠١١م). انهاید. ترجمه میرجلال الدین کزازی. تهران: قطره.

ویو، ج. (١٩٩٦م). فرهنگ اساطیر مصر. ترجمه ابوالقاسم اسماعیل پور. تهران: فکر روز.

هینلز، جان راسل. (٢٠٠٤م). شناخت اساطیر ایران. ترجمه با جلال فرّخی. تهران: اساطیر.

یاحقی، محمدجعفر. (٢٠٠٧م). فرهنگ اساطیر و داستان واره ها در ادبیات فارسی. تهران: فرهنگ معاصر.